

الدرعية في الكتابات الفرنسية المبكرة

كانت الدرعية عندما تأسست في منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي بلدة صغيرة كبقية المدن النجدية ولم تستقر الأمور فيها كما يقول الدكتور عبد الله المطوع في كتابه «مجتمع الدرعية»^(١)، إلا بوصول الإمام محمد بن سعود إلى الحكم سنة ١١٢٩هـ / ١٧٢٦م. ويمكن الإشارة هنا إلى ما أورده المؤرخ راشد بن خنين في تاريخه الذي ما زال مخطوطاً^(٢) يتحدث عمّن يسميهم بنو عنز من وائل وربيعه من نزار يقول: «ومنازلهم البحرين وهجر والقطيف وهجر اليمامة وما والاها وقد شرفت هذه القبيلة «ربيعه» الذين منهم إمام الوقت عبدالعزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن محمد بن فرحان ابن إبراهيم ابن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي الوائلي الربيعي»^(٣). ولم يذكر أبعد

أ. د. محمد خير محمود البقاعي *
• إجازة في اللغة العربية وآدابها من جامعة دمشق ١٩٨٠م
- دبلوم دراسات عليا (القسم اللغوي من الجامعة نفسها عام ١٩٨١م.
- دبلوم دراسات معمقة (ماجستير) من جامعة ليون الثانية - فرنسا ١٩٨٦م.
- دكتوراة في علوم اللغة من الجامعة نفسها ١٩٩٢م.
- يعمل الآن أستاذاً في قسم اللغة العربية كلية الآداب بجامعة الملك سعود.

(١) عبد الله المطوع. مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى، منشورات الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ١٣-١٥.
(٢) نبّهني الدكتور عبد الله المنيف لهذا المصدر، وزودني بصورة من التاريخ المخطوط. فله الشكر.

(٣) راشد بن خنين. تاريخ ابن خنين، مخطوط.



٢٧٣

ربيع الأول - جمادى الآخرة ١٤٣١هـ

مارس - يونيو ٢٠١٠م

الدرعية

السنة الثالثة عشرة

العددان: التاسع والأربعون والخمسون



من ذلك وبه تشرفت قبيلته على الإطلاق ثم يذكر معلومات مثل: «ونذكر ما بلغنا من أخبار أجداده على سبيل الاختصار وكان جده الأعلى مانع المريدي مسكنه بلدة الدروع من نواحي القطيف ثم إنه تواصل هو ورئيس دروع حجر اليمامة ابن عم دروع القطيف لما بينه وبينهم من المرحمة الوائلية؛ لأن الدروع من بني وائل فاستخرجه من القطيف وأتاه في حجر فأعطاه ابن درع غصيبة من نواحي ملكهم فاستقر فيها هو وبنوه». إلى أن قال: «والحاصل أن أصله من القطيف من موضع منه يقال له الدرعية وهو اسم الموضع الذي نزلوا في هذا الوادي في الدرعية وكان يسمى بالأصل بالضيق وغيره» هذا ولم أجد أحداً ممن كتب عن الدرعية استفاد من ملاحظات راشد بن خنين في تاريخه المذكور، والقضية الثانية ما ورد عند الإدريسي الذي لم يتحدث عنه باسمه (وادي حنيفة) وإنما سماه تسمية (أخرى) لم نجد من أشار إليها إلا بعد أن أشهر شيخنا أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري حفظه الله النص قبل عام تقريباً وهو قوله: «إن الوادي يسمى وادي أفنان». وطلب شيخنا حفظه الله من المهتمين أن يدلوا بدلوهم في هذه التسمية فقالوا: إن هذه التسمية من باب الوصف وليس من باب التسمية، لما يحف به من روضات وبساتين. يقول الشريف الإدريسي متحدثاً عنه: «ومن بلاد اليمامة التي ذكرناها ومعنى الأرض في هذه الأرض هو وادي أفنان ويشق اليمامة من أعلاها إلى أسفلها وعليه قرى عامرة ومزارع متصلة ونخل وحدائق وأشجار...»^(١) وكأنتا في منطقة غير المنطقة التي عرفت في بعض كتب الجغرافيين بالقحط والإدريسي يتحدث عن منطقة خصبة وعن ماء جار. أما متى بدأت هذه التسمية فهناك في القطيف مكان ما زال يسمى بهذه التسمية - كما في كتاب محمد العيسى (الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى) يقول: «يوجد حتى

(١) الإدريسي. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٩م، ص ١٦٠-١٦١.



الآن موقع قريب من القطيف يسمى الدرعية فيه آثار نخل ومورد ماء ويقع في منطقة صحراوية تبعد عن الدمام نحو ثلاثة وأربعين كيلاً...»^(١) إذن مازالت المنطقة معروفة. يبدو لي أن أول ذكر للدرعية في المصادر الفرنسية كان في مقالة نشرت في «صحيفة فرانكفورت» في عددها رقم ٣٠٧ في يوم الخميس ٥ نوفمبر تشرين الثاني عام ١٨٠٣م. الرسالة التي أرسلت من مصدر موثوق يقول: «أرسلت لنا القطعة التالية من مصدر موثوق لتتشر في صحيفتنا: مقتطف من رسالة من إسطنبول مؤرخة في ١٠ سبتمبر «أيلول». يبدو لي أن هذا المقال أول ما نشر في أوروبا عن الدولة السعودية وعن الوهابيين؛ لأن المعلومات التي ترد في هذا المقال هي معلومات بدائية فيها خلط بين الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب ويخلط بين محمد ابن عبد الوهاب ومحمد بن سعود لكن المهم هو قوله: «وجعل الدرعية مقر إقامته». في القسم الواقع بين بغداد ومكة من الجزيرة العربية (التحديد الغامض) ظهر المدعو عبدالعزيز «عبد الوهاب بن سعود» الذي استولى فجأة على منطقة نجد وجعل الدرعية مقر إقامته، ولكي يحقق ما كان يدور في رأسه رأى أنه من المناسب أن يكون على رأس ملة تكون عقيدته الأساسية، وتقوم في رأيه على العدالة» إذن هذا الذكر الأول وهو مجرد ذكر. الثاني الذي ذكر الدرعية هو الصايغ في كتابه: (رحلة إلى بادية الشام وصحارى العراق والعجم والجزيرة العربية) وهي قضية خلافية عالجه الدكتور عبدالله المطوع في كتابه: (مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى) لكن لي رأياً مخالفاً في قضية رحلة الصايغ أو ما يُسمى برحلة لاسكاريس أولاً: ينبغي أن نميز بين فتح الله الصايغ الحلبي الذي نشر الرحلة وبين الفرنسي

(١) محمد العيسى. الدرعية قاعدة الدولة السعودية، ص ٣٠.



تيودور لاسكاريس دو فنتيميل^(١) Théodore Lascaris de vintimille الذي هو صاحب المهمة الذي جاء إلى الشرق بتكليف من نابليون في قضية سبر إمكانية وصول الجيوش لمقارعة بريطانيا في الهند عن طريق الخليج العربي. حاول نابليون الاتصال بالأشراف، ولكن لما وجد أنه ليس لهم سلطة في تلك المنطقة قرر أن يتصل بالقبائل العربية وكان من الطبيعي أن يتصل بالدرعية في ذلك الوقت فأرسل لاسكاريس في مهمة الاتصال بالقبائل العربية في بادية الشام حول إمكانية التحالف فجاء لاسكاريس إلى حلب والتقى بالصايغ الحلبي وبدأوا الرحلة انطلاقاً من قبائل الشام - سوريا - فالتقوا القبائل وهنا ينبغي أن نميز بين شيئين في رحلة الصايغ الحلبي أولاً: أوراق لاسكاريس ومذكراته وما يتعلق به وأمتعته استولى عليها القنصل الإنجليزي في مصر ويقال إنه أحرقها وفي هذا القول نظر؛ لأن الإنجليز لا يحرقون شيئاً ولا أستغرب أن تكون موجودة في مواقع من مواقع حفظ المخطوطات في بريطانيا، فالصايغ ذهب إلى القاهرة بعد موت لاسكاريس الذي يبدو أنه مات مسموماً في القاهرة يطالب بأوراق لاسكاريس ومذكراته فطرده الإنجليز شر طردة وعاد إلى حلب مدينته وبدأ في كتابة

(١) ولد تيودور دو لاسكاريس دو فانتيميل في عام ١٧٧٤م في ييمونت سردينيا. وتزعم أسرته أنها تنحدر مباشرة من الأباطرة البيزنطيين الذين يحملون اللقب نفسه. وهي أسرة وثيقة الارتباط بأخوية فرسان مالطة،... وعندما اشتعلت الثورة الفرنسية كان تيودور قد أصبح أحد فرسان مالطة. وعندما استولى بوناپرت على مالطة في عام ١٧٩٨م، وهو في طريقه إلى مصر رفض الفارس الشاب محاربة الفرنسيين، وانخرط في العمل مهندساً معمارياً في الإدارة الجديدة لمصر.

وقد كانت وظيفته خلال العام الأول للحملة معمارياً في الإدارة العامة، وانحصرت في تصنيف بيوت الممالك المصادرة وتوزيعها. ولا تحتوي أرشيفات الحملة على آثار محسوسة لهذا النشاط. وإنه لمن الراجح أن الفارس السابق استفاد من هذه المدة لكي يتعلم العربية الدارجة على الأقل لكي يتواصل بمحاوريه الطبيعيين الأقباط الذين يتولون تاريخياً إدارة الشؤون المالية في مصر. انظر تقديمنا لتحقيق رحلة فتح الله الصايغ الحلبي بالاشتراك مع الدكتور عبد الله المسكر، دارة الملك عبد العزيز، قيد النشر.

هذه الرحلة، وإذا قرأنا عن الصايغ في الرحلة نجد أنه رجل عامي يكتب بالعامية السورية الموهلة في بعض الأحيان في الخصوصية وكل ما جاء في الرحلة من أخطاء تاريخية يظهر المستوى الثقافي للرجل الذي كتب هذه الرحلة، فهو ليس مؤهلاً لكتابة تاريخ، وإنما أراد أن يستفيد من هذه المرحلة من حياته فكتب هذه الرحلة ووقع في أخطاء. إذن ينبغي أن نميز بين حالتين بين لاسكاريس المبعوث الذي رحل إلى البادية الشامية برفقة الصايغ الحلبي وبين الرحلة التي بين أيدينا، وهي رحلة لرجل عامي لا يرتقي لمستوى التوثيق الذي نطلبه في مؤلفات العلماء والمؤرخين، إذن هذه الرحلة فيها حقائق كثيرة جداً وفيها أخطاء فادحة أشار إليها الدكتور المطوع وغيره من الباحثين لكن هذه التفرقة بين الرجل وبين ما كتب الصايغ هي ما اعتمدنا عليه في إصدار الطبعة الجديدة من رحلة لاسكاريس التي نحاول أن نصدرها كما كتبها الصايغ وليس نقلها إلى الفصحى كما فعل المرحوم يوسف شُلُحْدُ^(١) الذي أعاد كتابتها بالفصحى

(١) من أسرة سورية تدعى (شُلُحت) والكلمة سريانية معناها (رسول)، وتبدل التاء دالاً في العربية فيصبح شُلُحْدُ، ومن الطرائف أن الكتب والصحف العربية تشوه اسمه فتكتبه: جوزيف شيلهود. ولد في حلب عام ١٩١٩م، وتلقى دراسته في المدارس الخاصة التي أجاد فيها اللغة الفرنسية، ولكن أسرته كان لها تأثير في توجيهه لدراسة اللغة العربية دراسة عميقة. فقرأ سيبويه قبل أن يكمل العقد الثاني من عمره، ونال الجائزة الأولى في مسابقة شعرية أجرتها مجلة «الأمّل» بين جميع طلاب سورية ولبنان. وحاز شهادة الثانوية العامة (البكالوريا) عام ١٩٣٨م. ثم نشبت الحرب العالمية الثانية فلم يتمكن بسببها من متابعة دراساته العليا، فاشتغل في التعليم، ونشر عدداً من المقالات في مجلات «الحديث» و«الضاد» و«برق الشمال» التي كانت تصدر في حلب. وفي سنة ١٩٤٦م صدر له أول كتاب باللغة العربية بعنوان: علم الاجتماع الديني. سافر بعد ذلك إلى فرنسا للدراسة فنال شهادة الليسانس في العلوم الاجتماعية من جامعة السوربون، ثم دكتوراة دولة بدرجة الشرف الممتازة من الجامعة نفسها سنة ١٩٥٢م. ثم عاد إلى سورية للعمل في الجامعة فلم يتيسر له ذلك، فعاد إلى فرنسا حيث عيّن باحثاً في المركز القومي الفرنسي للبحث العلمي CNRS، ثم مدير أبحاث في قسم العلوم الانتولوجية. توفي في باريس عام ١٩٩٤م. أشهر كتبه كتابه: عرب الجنوب: تاريخ وحضارة، وكتابه: بيت المقدس عند العرب. وله كثير من الأبحاث المنشورة في مختلف المجلات الفرنسية والأوربية. انظر نشرة كتاب الصايغ الموثقة أعلاه ص ٢٤٥؛ وانظر فهرس مجلة العرب.



من جديد، وهو في بعض الأحيان يشير إلى بعض المفردات العامية. وقد رأينا أنه من الأفضل أن تقدم الرحلة باللهجة التي كتبت بها؛ لأنها تؤرخ لمرحلة مهمة جداً في تاريخ المنطقة، ماذا يقول الصايغ(*) : (فمن بعد أربعة عشر يوم من حين خروجنا من عند اهلنا، إذ اقبلنا على نخل الدرعية^(١) لذي استقمنا نحو أربع ساعات ماشين بين النخل الملتحم جميعه في بعض وحامي البلد، حيث نافع للبلد جدا لمنع العدو. فلم يزل حتى وصلنا الى باب البلد فوجدنا داير البلد ثلاث^(٢) سود صايرين على نعت^(٣) السور، وكان ذلك جميعه من العجوة القديمة التي تنعكس^(٤) من سنة الى سنة، يرموها برا البلد على بعضها، ومع المداومة قد كثرت ورسيت على بعضها وصارت حصن للبلد كمثل السياج. فدخلنا للبلد وهي مركزة على جانب وادي، ولها ابواب تغلق كل ليلة المساء وتفتح عند بكرة^(٥). فلم يزل سايرين للسرايا فدخلناها واذ هي سرايا واسعة جدا، عمارة حجرية^(٦) طبقتين.... ثم ثاني يوم درنا بالبلد. وهي بلدة صغيرة امياه بها وافرا داخل البلد. عماراتها من حجر الابيض، تحتوي على سبعة الاف نسمة،

(*) وأصر على كلمة الصايغ وليس رحلة لاسكاريس؛ لأن رحلة لاسكاريس هي سياسية وليست مكتوبة، ولا يوجد

شيء اسمه رحلة لاسكاريس وإنما هو ما كتبه الصايغ الحلي وحصل هناك وهنا بعض الخلط.

(١) يكتبها الصايغ: الضرية. وصوابها كما هو معلوم بالبدال. وسنكتبها على الصحة.

(٢) جمع تلة وهي المرتفع الصغير.

(٣) على صفة السور، كالسور.

(٤) يقصد: تنكس، والمعنى: تتكدس.

(٥) صباح اليوم التالي.

(٦) بل كانت المباني تصل إلى ثلاثة أو أربعة طوابق مثل قصر سلوى المبني من الحجارة المأخوذة من المحاجر

الكثيرة بقرب الدرعية. انظر: مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى، عبد الله المطوع، م.س، ص

١٤٢-١٤٥.

أكثرهم قرايينه واتباعه ومدبرينه وعقاده وروسا عساكره وما يلوز به ايضاً. سوق للبيع من نوع اكل وشرب ما في، بل كل واحد ياكل من بيته، والغريب يضيفوه عندهم ويتسابقوا عليه بالعزائم. وأما صنايعهم حياكة الخام وشغل المشالح السود والبيض، والدسمانات، وزنانير المقلّمت بابيض واحمر. دكاكين سيوفية وقندقلجية^(١) لاجل شغل التفنك. ودكاكين بياطرة ودكاكين شغالين حوايج الجمال ومسرجات الخيل من لباد لان يشغلوا لبايد كثير في بلدهم. مروتهم قليلة^(٢)، لا قوي لهم استطاعة للشغل والتعب، بل يحبوا الراحة وقلة العمل، يحبوا ايضاً الجمعيات والحديث الكثير ولو كان من غير افادة، بالحيث يجكو ويقطعوا الزمان. نسا هم ما هم قوي محسنات، اكثر سمر غامقات، والبيضة كمثّل السمرة في بلادنا، يخرجن للطريق مغطايين بمشالح سود الى فوق راسهم، [...] مرتين في مشلح واحد. حفيانين بلا لباسات على نعت^(٣) نسا عرب الجول، فقط زايدين بالفضا^(٤) عليهم، وملابسهم كملايس نسا العرب من غير يتقلنوا^(٥) الحرير حيث انه محرم عندهم. يشكوا في عراقهم ذهب، وفي طرف شمالتهم.

عندهم بساتين خارج البلد بالوادي، بها فواكي، مثل موز وتين ورماني وبلح وليمون

(١) العمال الذين يصنعون القندق: وهو القسم الخشبي في أسفل البارود ويسمونه الأخص. وهي من التركية: kondak.

(٢) حاملون ونشاطهم قليل.

(٣) كلمة لم يبق منها إلا حرفا الواو والألف. والمعنى: أنه يمكن أن نضع امرأتين (مرتين) في مشلح واحد لأنه فضفاض.

(٤) يشبهن نساء عرب الشول، البادية.

(٥) الغطاء...

(٦) لا يلبسن الحرير لأنه محرم عندهم كما يقول.



وبردقان وقصب مص^(١) وبطيخ اصفر وعجور^(٢) وجوز الهند. مأكولهم لحم الجمال وحليب النوق. لحم الضان قليل. ويزرعوا حنطة سقي، واكثر ما عندهم الدرا بيضا وصفرا ويستعملوها للخبز والطبخ ايضاً، جاج عندهم كثير، اكلهم قليل جداً، باقل شي يشبعوا. واما مصروفهم قوي دني حيث جميعهم يزرعوا على كيسهم ذرا وحنطة، ولهم مواشي وخيل، ملبوسهم دني لا يكلف الى دراهم كثير، واكلهم دني لا يقتضي الى مصارف كثيرة، وكل شي ببلاش، ما في شي للبيع من ملابس وما اكل يحوج صرف مصريات. فالشي الذي ينقصهن جميع ما يكون يجلبه لهم اهالي الينبع^(٣) بجرأ الى مكا^(٤)، كرسي اليمن، محل الذي يخرج مبالغ القهوة منها، لا مكة التي بها قبر محمد^(٥)، بل الى مكا، بلد عظيم، من تخم^(٦) صنعنا اليمن بالقرب الى ديرة الجوف^(٧)، الذي بينها^(٨) وبين باب المنذب ستة ايام لا غير، تبع اليمن ولكن مالکها الوهابي [٢/١١٠]، هي بلد كبيرة جداً بقدر مدينة حلب، ويعطوا الجزية للوهابي، ويخافوا منه قوي. فاهالي مكا يجيبوا لوازم الناقصة للدرعية ويبيعوهم ويشترى من عندهم غنم وجمال ومشالح وخيل وما يلزمهم، لان كل نهار اربعا فيه بازار بالدرعية للبيع والشرا من مواشي ولباييد ومشالح وشملات. واهالي الدرعية تباع على اهالي قرى بلاد الحضرموت^(٩)، هذي باقي منهم شي قليل بل

(١) القصب السكري، ويسمى في الشام قصمص (قصب للمص لحلاوته).

(٢) نوع من القثاء.

(٣) الصواب: ينبع، ميناء المدينة على البحر الأحمر.

(٤) يريد الصايغ مدينة مخاً على ساحل البحر الأحمر.

(٥) ضريح النبي ﷺ في المدينة النبوية.

(٦) تُخَم جمع تخوم: حدود..

(٧) منطقة في اليمن تسمى الجوف.

(٨) اي مخا.

(٩) كتبها: الاضرموط.

الأكثر خراب، حيث بلاد الحضرموت، كما معلوم، كانت بالسابق بلاد عمار عظيمة، واما الان اكثرها خراب، في كم ضيعة تبع الوهابي، اجماعة فقرا جداً يعطوا الجزية تحت رق العبودية. واما عملتهم بالدرعية ريال فرنجي^(١)، وذهب مَشَخَص^(٢)، وذهب مجر^(٣)، ونصف ريال وربع ريال، وذهب جنزلي^(٤) شغل مصر قديم، وذهب ابو ورده قديم^(٥)،

(١) لعله ما يسمى بالريال الفرنسي، وهو التالر النمساوي أو تالر ماريا تريزا، وهو من الفضة. انظر: النقود المتداولة في مصر العثمانية، د. أحمد الصاوي، م.س، ص ١٦٧ وما بعدها. والأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية: إعداد دارة الملك عبد العزيز - الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ١٠٥.

(٢) نقد ذهبي أجنبي يعرف باسم الدوكة جرى سكه في البندقية، عرف بالمشخص لاحتوائه على تصاوير آدمية نقشت على الوجهين. انظر: النقود المتداولة... م.س، ١٤٨، وانظر: عنوان المجد لابن بشر، (طبعة الدارة)، ج ١، ص ١٢٥، ٢٤٢.

(٣) الذهب المجري أو الدوكات النمساوية التي عرفتها القسطنطينية في التداول باسم مجر ألتيني أو الذهب المجري. وأشار الكرمللي إلى نقد ذهبي عرف باسم «برينجيس»، وهي كلمة تركية منحوتة من «بر» بمعنى واحد، وبنجس وهي كلمة مجرية لنقود مجرية استعملها الترك في القرن الحادي عشر الهجري (١٧م). ودخلت بلاد النيل على أيديهم. وربما تم تداول هذه الذهبيات المجرية بعد الحملة الفرنسية على مصر، وقد كانت أقل قيمة من الذهب البندقي كما يستفاد من المثل العامي (العجب بالمجر لما يجيك البندقي). انظر: كتاب النقود المتداولة في مصر العثمانية، د. أحمد الصاوي - ط ٢ - القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٨م، ص ١٥١-١٥٢.

(٤) طراز من العملة الذهبية العثمانية سَكَّ في عهد السلطان أحمد الثالث الذي حكم بين عامي ١١١٥-١١٤٢هـ/ ١٧٠٣-١٧٢٠م، وتوفي عام ١١٤٩هـ بعد أن تنازل لأخيه محمود الأول عن الحكم. وهو طراز تميز بوجود الطغراء على وجهه، ولم يُنقش على الظهر سوى ختم دار سك النقود وتاريخ اعتلاء السلطان العرش. وقد عُرف هذا الطراز من العملة ذات الطغراء في البداية باسم ذهب استانبول بينما أُطلق عليه في المصطلح الشعبي اسم زنجيرلي (أو جنزير). والزنجير أو (جنزير) إطار يحيط بهامش قطعة النقود، والزنجيرلي أو الجنزيرلي تحريف للكلمة الفارسية زنجير بمعنى السلسلة والجنزيرلي هو ذو السلسلة. ويقال إن المسؤول عن دار ضرب هذه العملة الذهبية الخالصة في مصر كان يعرف بالجنزيرلي. وقد سُمي فيما بعد بالفندقلي. انظر: كتاب النقود المتداولة في مصر العثمانية، د. أحمد الصاوي، م.س، ص ٥٢-٥٣.

(٥) دينار ذهبي ضرب في مصر عام ٩٢٤هـ بزخرفة على شكل وريدات، أو أنها دنانير ذهب بندقي قديم. انظر



ومصريات فرط^(١)، وأما عملة^(٢) العثماني لا تسلك ابداً. ثم المسا رجعنا الى المنزل وقيدت جميع ما شفته وسمعته في اليومية).

هذا ما تحدث به الصايغ في رحلته عن الدرعية.

والمصدر الآخر الذي تحدث عن الدرعية حديثاً أكثر دقة هو ما ورد في كتاب مانجان^(٣) (تاريخ مصر في عهد محمد علي).

تحدث مانجان عن الدرعية، وكان في حديثه يستقي من مصدر موثوق وهذا المصدر هو أحد أحفاد الشيخ، وهو: عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الذي أخذ إلى مصر بعد سقوط الدرعية والتقاء منجان وحده عن العاصمة وعن البلدة التي ولد فيها الشيخ عبد الرحمن يقول مانجان: «تقع هذه المدينة على مسافة حوالي ٩٠ ميلاً من الشرق إلى البصرة» والصواب غرب البصرة وتسعون ميلاً مسافة قصيرة. تميزت بمنازلها المبنية من الحجارة في حين أن بيوت الأحساء وغيرها من بيوت المدن الأخرى في الجزيرة العربية غالباً مبنية من الطين والقصب، وهذا - كما يتضح - تحديد بعيد للدرعية، ينبغي التدقيق فيه بالعودة إلى الكتابات الجغرافية.

في كتاب مانجان ملحق كتبه أحد المستشرقين الكبار وهو (آدم جومار) وكتب

كتاب الصاوي المذكور في الحاشية السابقة، ص ٢١ و ١٥٠.

(١) قطع النقود الصغيرة مثل الفلس والقرش ونصف الريال وربيع الريال وغيرها.

(٢) ذكر في الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، م.س، ص ١٠٥ أن النقود النحاسية العثمانية الصغيرة غير مرغوب فيها لدى معظم سكان أقاليم الدولة السعودية الأولى. وانظر كتاب النقود المتداولة في مصر العثمانية، م.س، ص ١٢٣-١٢٤.

(٣) ترجمت من هذا الكتاب ما له علاقة بالدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية بعنوان: تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب فيلكس مانجان تاريخ مصر في عهد محمد علي -٠ الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.



(جومار)؛ ملحقاً جغرافياً تحدث فيه عن الدرعية بوصفها عاصمة تحدد الأماكن بالنسبة إليها فإذا أرادوا الحديث عن منطقة حدودها بالنسبة إلى موقع الدرعية وهذا يؤكد الأهمية التي كانت تكتسبها في ذلك الوقت وتحدث جومار عما أورده نيبور - ونيبور ليس فرنسياً أصيلاً ولكنه فرنسي بالولاء - الذي تحدث عن بلاد نجد ضمنها بعض المعلومات الأولية، معتمداً على المعلومات التي حصل عليها من البدو الذين يسكنون على الشواطئ فهو لم يدخل إلى داخل الجزيرة العربية، ولكن الصفحات الست - يقول جومار - التي خصصها نيبور لنجد ناقصة، وهي غير كافية أبداً لتحديد بعض المواقع ولا تصلح أبداً لوضع خريطة. إذن كان هناك فراغ فلأن المعلومات التي قدمها نيبور لم تكن صالحة. فجومار وغيره من الذين اهتموا بصناعة الخرائط أرادوا أن يملأوا هذه المنطقة وملؤهم لها كان ينطلق من موقعها بالنسبة إلى الدرعية ومع أن الكتب التي نشرت منذ عشرين عاماً بعد انتشار الدعوة الوهابية ألقت ضوءاً على هذه المنطقة، فإن عناصر أخرى دقيقة ما تزال غير متوافقة، وأخفق (دانفيل) وهو عالم جغرافيا فرنسي بكل ما أوتي من حكمة وبسبب نقص الأدوات في القيام بذلك لما اعترض طريقه من عقبات كأداء يقول - وهذا مثال واحد - أما المسافة بين قصبة العارض مدينة الدرعية عاصمة الوهابيين وبين القطيف فهي كما يذكر الجغرافيون تبعد مسافة ستين إلى ثمانين فرسخاً عن القطيف ويذكر آخرون أنها على مسافة مئة فرسخ وزعمت جماعة ثالثة أنها مئة وعشرون فرسخاً أما المسافة التي تفصلها عن المدينة المنورة فافترض بعضهم أنها مئة وخمسون فرسخاً والبعض الآخر قال مئة وخمسة وسبعون فرسخاً ويضع صانعوا الخرائط عدداً من الأنهار تصب في الخليج العربي بعد أن يقطعوا مسافات طويلة ويضعون مدينة اليمامة على واد كبير اسمه «أفنان» كما لو أنهم يريدون أن يقيموا بين هذه القارة والقارات الأخرى



مشابهة نمطية لا تعتمد إلا على مبدأ القياس وفي اعتراضه على قضية وضع الأنهار في الخريطة يقول: «وقد دفعتهم إلى ذلك مبالغات الكتاب العرب والمؤلفين القدماء وينطبق القول نفسه على سلاسل الجبال التي توضع على الخرائط وضعا عشوائياً على امتداد مساحة القارة العربية مازلنا يقول حتى اليوم جومار في كتاب مانجن أرخ حتى سنة ١٨٢٣ عندما كتب الملحق يقول مازلنا حتى اليوم بعيدين كل البعد عن ملء الفراغ الجغرافي حتى على مسافة بسيطة، ولكننا نمتلك وصفاً لبعض المسالك ثم يتحدث حديثاً طويلاً عن جغرافية المنطقة فيقول: «إن سلاسل الجبال الداخلية التي نعرفها معرفة مؤكدة هي سلسلة جبال الحرة وجبال طويق، والسلسلة الثانية تكاد تكون موازية للأولى تطل على إقليمي العارض والوشم وتتفتح السلسلة على مستوى انفتاح سلسلة عاصمة نجد لتشكل مجرىً تحدثنا عنه أعلاه ويسمى هذا المجرى شقاً. أما السلسلة التي تنحدر منها فتشكل سياجاً وعراً تقع في عمقه بساتين الدرعية الخصبة...» ثم يقول: «أما الدرعية حاضرة إقليم العارض وبلاد نجد فعدد سكانها ثلاثة عشر ألف نسمة ستة آلاف منهم قادرون على حمل السلاح ولكن هذا التقدير أقل من الواقع؛ لأنه لا يتضمن سكان حوالي خمسين قرية أقل أهمية وتقع بين مناطق الشمال والجنوب وأنحاءها ثم يقارن بين وضع المنطقة ويذكر المصادر التي اعتمد عليها في وضع هذه الخريطة يقول: استفدنا فيما يخص الجزيرة العربية من الخريطة التي صنعت في القاهرة اعتماداً على المعلومات المستقاة من الشيخ عبدالرحمن الوجيه حفيد الشيخ المذكور محمد بن عبدالوهاب رأس الدعوة الوهابية والشيخ عبدالرحمن رجل مثقف ويعرف بلاده حق المعرفة. ومانجان في حديثه عن الدرعية كان يورد نصوصاً كثيرة جداً وخاصة في تحديد الإمامة بالنسبة للدرعية وكان عادة عندما يتحدث عن منطقة ما يتحدث بالنسبة إلى الدرعية وأجرى مقارنة بين موقع الإمامة وله بحث طريف جداً



في قضية تحديد موقع اليمامة رأى فيه أن هناك مدينة اسمها اليمامة وهناك منطقة اسمها اليمامة فلذلك خلط الناس بين المدينة والمنطقة ويحددها بالنسبة إلى الدرعية. وهنا لابد أن أشير إلى ما كتبه (جان باتيست روس) أو إلى ما أنجزه (روسو) من رسم أول خريطة لمدينة الدرعية وهذه الخريطة ذات شؤون وشجون وقد كتبت عنها^(١). وقد نشرها الدكتور محمد آل زلفة في العدد الأول من مجلة الدرعية لكنها نشرة سقيمة. وقد وضع روسو الخريطة اعتماداً على من سماه خطيب الإمام سعود، كان في رحلة إلى حلب لقضية تتعلق بسلب تجار في الصحراء الشامية، فهذا الخطيب التقى به روسو في حلب وأخذ منه المعلومات ورسم هذه الخريطة وتحدث روسو عن الإمام سعود بن عبدالعزيز، وتحدث عن الدرعية والنشرة التي نُشر فيها هذا الحديث سيئة جداً. وفيها كثير من الأخطاء الغريبة التي أشار إلى بعضها أو إلى أهمها الدكتور المطوع في كتابه المذكور أعلاه عندما قال مترجم الإمام سعود كان يصلي في الدرعية ويصلي معه عشرون ألف مصلٍ، فالدكتور المطوع سأل ياليت أن روسو سأل خطيب الإمام سعود ما اسم هذا المسجد الذي يتسع لعشرين ألف مصلٍ. والحقيقة أن رسولم يقل إنه كان يصلي وراءه عشرون ألف وإنما قال: إن أتباعه في ذلك الوقت يبلغون عشرين ألفاً، وكان يتحدث في سياق الخروج في يوم العيد إلى البرية لأداء صلاة العيد كما هي السنة، ناهيك عن الأخطاء الأخرى، فهو يقول: إن في الدرعية ثمانية وعشرين مسجداً وثلاثين مدرسة، والمساجد على عكس ما اعتدنا عليه في المساجد الإسلامية خالية من المنارات والقباب أما المدارس

(١) أقدم خريطة لمدينة الدرعية رسمها جان باتيست لويس جاك روسو (١٧٨٠-١٨٢١م) القنصل الفرنسي في البصرة وبغداد وطهران وحلب وطرابلس الغرب. صحيفة الجزيرة، العدد ١٢٥١٩، الثلاثاء ٢٠ ذو الحجة ١٤٢٧هـ.



فمخصصة لتعليم الشبيبة الذين يذهبون إلى هناك للتعلم وتلقي الدروس على فترتين في اليوم ما عدا يوم الجمعة. أما المدينة فإنها خالية من الحمامات والمقاهي العامة ولما قرأ أحد الباحثين هذا الوصف قال هذه الملاحظة لا يديها إلا فرنسي؛ لأنه تهمة الحمامات والمقاهي فلذلك ما وجد فيها حمامات ومقاهي. والأخير الذي تحدث عن الدرعية هو (كورنسيه) في كتابه (تاريخ الوهابيين)، تحدث عنها فقال: «مبنية من الحجر وتتوسط بين حيين عرضها نصف فرسخ وطولها فرسخ ونصف يقع أحد الحيين في الشمال واسمه كذا والسكن الحالي تسعون».

القضية الأخيرة أن روسو أورد قائمة بالأماكن في نجد أو ما يسميه «ديبرتمان» أو المناطق، وذكر من هذه المناطق الدرعية بوصفها منطقة مستقلة وقال: إن منطقة الدرعية تضم الدرعية والعيينة وعرقه.